

مقدمة

وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً ، وما أنا من المشركين .
إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له . وبذلك أمرت
وأنا من المسلمين . أما بعد :

لابد أن أصرح ، منذ البداية ، بأن هذا البحث لا يهدف مطلقاً إلى أى
لون من ألوان المفاضلة أو المفاخرة بين الجنسين ، بل كل ما يهدف إليه هو إثبات
أن « ليس الذكر كالأنثى » .

فالذكر والأنثى مختلفان ، ولكن ليس أحدهما أفضل من الآخر ، إنما كلاهما
متكافئان في القيمة ، ولو أن قيمة كل منهما من نوع مختلف .

وإذا كان كل من الجنسين قد يأخذ من الآخر بعض السمات بنسب
متفاوتة ، فإن هذا لا ينفي مطلقاً أن « ليس الذكر كالأنثى » .

والذكورة والأنوثة ليست شيئاً مقصوراً على الإنسان وحده ، بل هي شيء
شائع في الحيوان والنبات والجماد . وإذا أردنا الدقة فهي شيء شائع في جميع
الكائنات ، حتى ما يخفى منها عن العيان المباشر ، مثل : الكهارب الموجبة
والسالبة ، التي تتجاذب لتستوى بها الذرة الدقيقة .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ..
(٤٩ - الذاريات) ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ .. (٤٥ -
النجم) ﴿ خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُبْتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا
لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .. (٣٦ - يس)

وجرياً على سنة الله تعالى في الطبيعة ، كان لابد أن يختلف كل من الرجل والمرأة في طبيعة التكوين والقطرة ، حتى إذا ما التقى الاثنان وجد كل منهما عند الآخر ما ليس موجوداً عنده ولا عند أمثاله . ولذا نرى كلاً من الاثنين يسعى سعياً حثيثاً إلى الاتحاد بصنوه المتم له ، ويلتمس السعادة والكمال في الامتزاج به .

هذا ، وقد نهجت في كتابة هذا البحث منهج الإيجاز والتلخيص . ولم أشأ قط استعراض أكداً المعلومات التي توصلت إليها العلوم المختلفة قديماً وحديثاً عن التباينات بين الذكر والأنثى . وما فعلته يتمثل في تلخيص النتائج التي توصلت إليها تلك العلوم ، خاصة : علم التشريح ، علم وظائف الأعضاء ، علم النفس ، علم الاجتماع .

وكان استعراضى لنتائج هذه العلوم ، في مجال تبيان الفروق بين الجنسين ، بمثابة تمهيد منطقي لتوضيح نظرة الإسلام إلى كل من الذكر والأنثى ، وكيف أنه سوى بينهما في الأمور التي تتصل بالإنسان من حيث هو إنسان ، وفرق بينهما في بعض النواحي تفرقة تنشأ من تباين طبائعهما ، واختلاف وظائفهما ؛ تحقيقاً لصالحهما ، ولصالح كل من الأسرة والمجتمع والحضارة .

وتجدر الإشارة إلى أن كل الموازنات والمقارنات التي جاءت في هذا الكتاب ، إنما تجرى على الأعم الأغلب في جميع الأحوال ، ولا شأن لها بالاستثناء الذي يأتي من حين إلى حين ، والذي لابد منه في كل تعميم .

وأخيراً ، فإني أود أن أشير إلى أنني ، بعد بحث طويل ، في المكتبات ومطاب الكتب المختلفة ، لم أعر على أى كتاب ناقش موضوع التباين بين الجنسين من كل الجوانب التي تناولناها مجمعة في كتاب « وليس الذكر كالأنثى » . وأغلب ظنى أن هذا الكتاب المتواضع ، يعد أول دراسة ناقشت هذا الموضوع من منظور الإسلام والعلوم الحديثة معاً .

وفيما يلي بيان لهذا الإجمال ، شيمته إظهار وجوه الانسجام والتوافق بين تصور الإسلام وتصور العلوم الحديثة .

والله أسأل أن يتقبل عملي هذا بقبول حسن ابتغاء وجهه الأعلى ، إنه سميع
عليم .

وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب ..

محمد عثمان الخشت

الأهرام في : ١٠ من ذى الحجة ١٤٠٤ هـ

١٦ من سبتمبر ١٩٨٤ م